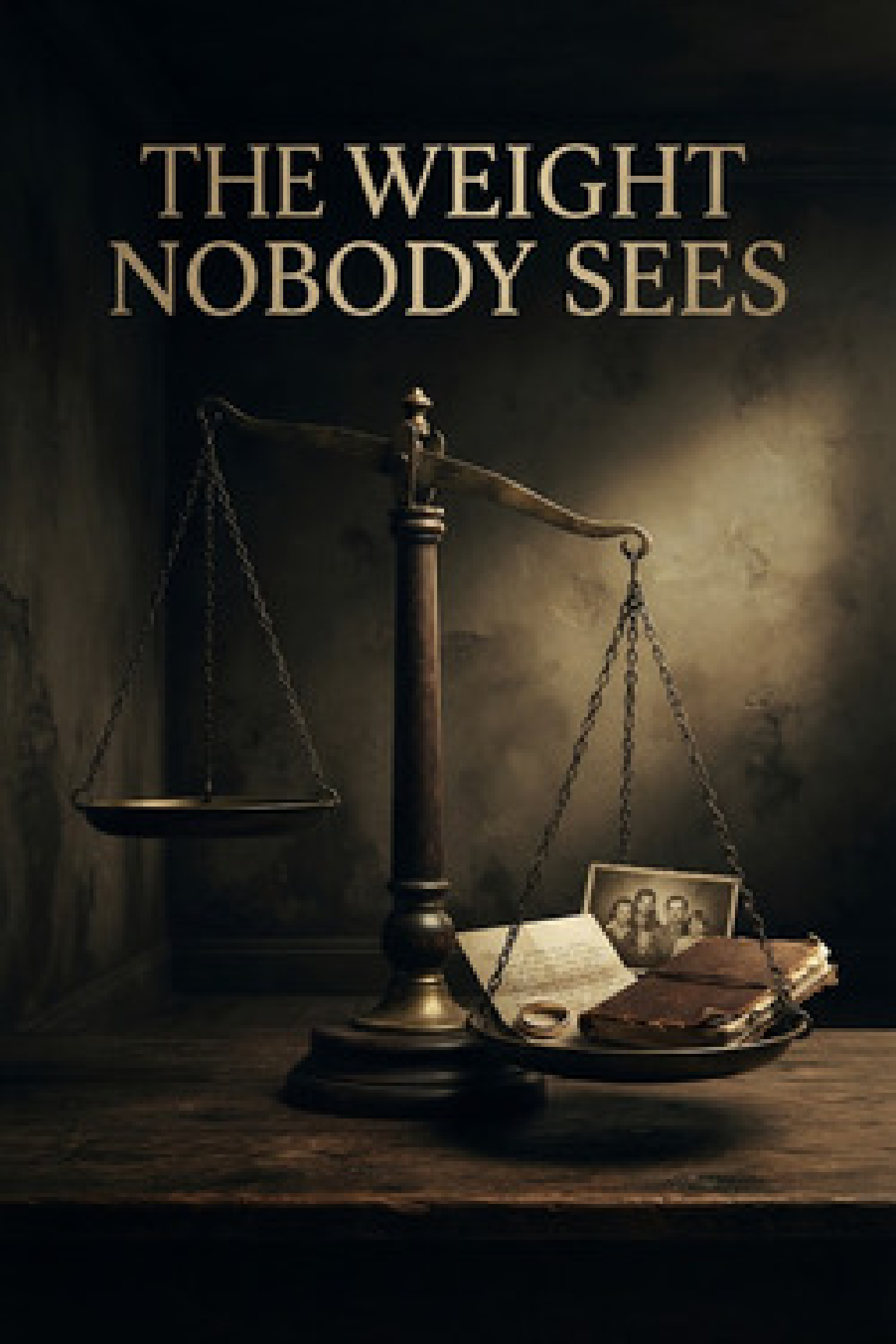
THE WEIGHT NOBODY SEES



عتبة 9

العبء الذي لا يراه أحد

حين نكون صغارًا، يبدو لنا الواجب كلمة صارمة.

لها صوت القواعد.

والتضحيات.

والالتزامات.

ليس لها سحر المغامرة.

ليس لها لون النجاح.

وليس لها حتى لغة السعادة.

لهذا لا يكاد أحد يحلم بالواجب.

يحلم الناس بالنتائج.

بالغايات.

بالفتوحات.

بالتكريمات.

الواجب يأتي لاحقًا.

بصمت.

ويبقى أطول من كل ما عداه.

لسنوات كثيرة اعتقدت أنا أيضًا أن الجزء الأهم من الحياة هو الجزء المرئي.

الترقيات.

التغييرات.

القرارات المهمة.

الانتصارات.

ثم علّمني الوقت شيئًا ما كان لأي كتيّب أن يشرحه.

حياة الإنسان لا تُقاس بالأيام الاستثنائية.

تقاس بالأيام العادية.

بالأيام التي لا ينظر فيها أحد.

بالأيام التي عليك فيها ببساطة أن تفعل ما يجب فعله.

حتى حين لا نرغب في ذلك.

حتى حين نكون متعبين.

حتى حين يبدو أن العالم لا يلاحظ.

هناك يعيش الواجب.

يسكن في الاستمرارية.

لا في الحماس.

أتذكّر لحظات كثيرة كانت فيها الرغبة والواجب يسيران في اتجاهين متعاكسين.

إنها مواقف يعرفها الجميع.

تودّ أن تتوقف.

لكن عليك أن تواصل.

تودّ أن تبتعد.

لكن أحدهم يعوّل عليك.

تودّ أن تفكّر في نفسك.

لكن المسؤولية تنادي من جهة أخرى.

في تلك اللحظات تطرح الحياة سؤالًا بسيطًا وقاسيًا.

من تكون حين لا يجبرك أحد على فعل الصواب؟

الإجابة لا تأتي من الكلمات.

تأتي من الأفعال.

تعلّمت مبكرًا أن للواجب ثمنًا.

أعلى بكثير مما يتخيّل معظم الناس.

يكلّف وقتًا.

يكلّف طاقة.

يكلّف فرصًا.

أحيانًا يكلّف حتى جزءًا من أحلامنا.

لأن كل اختيار لصالح شيء يستلزم حتمًا التخلي عن شيء آخر.

لا توجد حياة بلا ثمن.

يوجد فقط أشخاص يختارون أي ثمن يدفعون.

رأيت رجالًا يضحّون بالعائلة من أجل المسيرة المهنية.

وآخرين يضحّون بالمسيرة المهنية من أجل العائلة.

رأيت أشخاصًا يتخلّون عن الأمان باسم الحرية.

وآخرين يتخلّون عن الحرية باسم الأمان.

الحياة لا توزّع جوائز مجانية.

إنها تبادل دائمًا شيئًا بشيء آخر.

هذا الوعي يغيّر طريقة النظر إلى العالم.

خصوصًا حين يتوقف المرء عن إصدار الأحكام.

لأن خلف كل اختيار توجد معركة غير مرئية لا يراها الآخرون.

خلف كل مسؤولية يوجد ثمن خاص.

خلف كل نجاح ظاهر توجد غالبًا تنازلات مجهولة.

مع مرور السنوات بدأت أحترم بدرجة أقل مَن يتحدثون عن تضحياتهم، وبدرجة أكبر بكثير مَن يعيشونها في صمت.

الأشخاص المسؤولون حقًّا لا يحبون الحديث عن أنفسهم.

إنهم منشغلون جدًا بإبقاء ما يعتمد عليهم واقفًا.

عائلة.

منظمة.

جماعة.

مشروع.

وعد.

يوجد أشخاص يصيرون أعمدة دون أن يطلبوا ذلك.

في يوم ما يلتفتون فيكتشفون أن آخرين يستندون إليهم.

أبناء.

آباء.

معاونون.

أصدقاء.

أشخاص هشّون.

أشخاص تائهون.

أشخاص يبحثون عن الاستقرار.

عندئذ يكفّ الواجب عن أن يكون نظرية.

يصير حضورًا يوميًا.

حضورًا ليس مريحًا دائمًا.

لكنه يمنح الأشياء معنى.

أتذكّر درسًا احتجت سنوات لأفهمه.

الواجب لا يولد من الطاعة.

يولد من الحب.

هذا الفرق يغيّر كل شيء.

حين تحب شيئًا، تعتني به.

وحين تعتني به، تصير مسؤولًا.

وحين تصير مسؤولًا، تقبل حملًا.

وذلك الحمل، ببطء، يصير جزءًا منك.

لهذا لا يمكن فرض أهم واجبات الحياة.

يمكن قبولها فقط.

لا قانون يستطيع أن يجبرك على الحب.

لا قاعدة تستطيع أن تجبرك على الحضور.

لا سلطة تستطيع أن تجبرك على البقاء حين يكون الرحيل أسهل.

هذه قرارات داخلية.

وهي تساوي أكثر من أي إملاء خارجي.

مرات كثيرة سألت نفسي هل يجعلنا الواجب سعداء.

اليوم أعتقد أن السؤال خاطئ.

لم يُخلق الواجب ليجعلنا سعداء.

خُلق ليجعلنا موثوقين.

السعادة تأتي وتذهب.

أما الموثوقية فتبقى.

وهي ما يتيح للناس أن يثقوا بنا.

في النهاية، ما نبنيه في الحياة يعتمد إلى حد كبير على هذه الثقة.

لا عائلة تصمد بلا ثقة.

لا صداقة تدوم بلا ثقة.

لا منظمة تنمو بلا ثقة.

لا علاقة تنجو بلا ثقة.

والثقة تولد دائمًا تقريبًا من السؤال نفسه.

"هل سيكون هذا الشخص موجودًا حين تدعو الحاجة؟"

لا حين يكون ذلك مناسبًا.

لا حين يكون سهلًا.

حين تدعو الحاجة.

مع الوقت فهمت أن القيمة الحقيقية لرجل أو امرأة تظهر هناك خصوصًا.

في الإجابة عن ذلك السؤال.

لا في النجاحات.

لا في الخطابات.

لا في النوايا.

في الحضور.

في الموثوقية.

في الاستمرارية.

في الشجاعة الهادئة لمن يواصل الحضور.

حتى في أسوأ الأيام.

كم يكلّف الواجب؟

يكلّف كثيرًا.

أحيانًا أكثر مما نود.

لكنه يكلّف أقل بما لا يقاس من التخلّي.

لأن ثمن المسؤوليات التي نقبلها عالٍ.

لكن ثمن المسؤوليات التي نخونها أعلى حتى من ذلك.

وحين يمضي الوقت، كما يحدث للجميع عاجلًا أم آجلًا، لا نتذكّر وسائل الراحة التي دافعنا عنها.

نتذكّر الأشخاص الذين حميناهم.

الوعود التي حفظناها.

الأحمال التي اخترنا أن نحملها.

ونكتشف أنه هناك بالضبط، في المكان الذي بدا أنه لا يوجد فيه سوى التضحية، كان مخبوءًا المعنى الأعمق لحياتنا.